

تكوين المترجم
محمد البشير مغلي
جامعة منتوري

لأن كانت أهمية الترجمة موزعة في القدم حيث تعود آثارها الأولى إلى عام 8000 ق.م في عهد المملكة المصرية القديمة التي عثر في إحدى مناطقها على كتابات بلغتين (1). ثم تزايد الاهتمام باستقراض الرومان عناصر عديدة من الثقافة الإغريقية من طريق النقل الذي أضحى لا مندوحة عنه في الغرب ابتداء من عام 300 ق.م. ولأن مرت عصور هامة للترجمة عبر تاريخ البشرية في حالات السلم والحرب وعرفت أوجها في العهد العباسي وازدهرت في المشرق بإنشاء دار الحكمة التي كانت تكافئ المترجم بوزنه ذهباً... قد سمي القرن العشرون بعصر الترجمة (2) أو عصر إعادة الإنتاج reproduction بينما كانت الترجمة في القرن التاسع عشر اتصالاً في اتجاه واحد بين رجال الأدب البارزين والفلاسفة والعلماء وبين قرائهم من طلاب العلم في البلاد الأجنبية، كما كانت المعاملات التجارية تجري بلغة الأمة السائدة، وكانت الفرنسية، التي حلت محل اللاتينية، لغة الدبلوماسية، تُلَفى في غضون قرن الترجمة ما يسوغ بحق هذه التسمية التي خلعت عليه إذ أصبحت الاتفاقيات الدولية بين المنظمات الحكومية العامة والخاصة تترجم الآن لصالح جميع الأطراف المعنية. وإنشاء الهيئات الدولية وتكوين الشركات متعددة الجنسيات صارت الترجمة تكتسي أهمية سياسية خاصة (3) وما استخدام منظمة الأمم المتحدة لمئات المترجمين المتخصصين وتوظيف السوق الأوروبية المشتركة (EEC) لما لا يقل عن 1300 مترجم، وغيرهما من الهيئات الدولية والمحلية إلا دليل على مدى الخطورة المتزايدة لدور المترجم في عمليات التواصل والثقافة والتقارب بين الشعوب والدول والأمم فضلاً عن كون المهنة التي يحترفها هي من قديم ذات أبعاد إنسانية وحضارية، فإنها في الراهن ضرورة ملحة في عالم متسارع في النماء والتطور المذهل

و التحولات الهائلة في شتى ميادين العلم و المعرفة و الاتصال. فلا غنى عنها سيما في عصر الانفجار المعرفي و الثورة الجينية و انتشار الأقمار الصناعية التي تصاغرت بها القرية الكونية.

و هل يعقل بحال أن يعزب في مضمار هذا التنامي الحضاري المتزايد أو أن يغيب في حقول الاكتشافات و الاختراعات المناسبة من كل أنحاء العالم، تواصل أو تبادل للمعلومات و الخبرات دون تخاطب و تلاغ لا يتمان على الإطلاق بمعزل عن الترجمة التي تتضاف إليها في غمرة تعدد اللغات أدوار عصرية نوعية هي العمدة في التمكين للتقدم العلمي و الأس في النقل الأمين للبحوث و المبتكرات و الركيزة في توصيل خامات المعارف و خماير الفكر و لباب العلوم؟ كما تعد بهذه المثابة أيضا عبارة المفاهيم و الأفكار و قناة التعارف و التقارب بل و التكامل و وسيلة التفاهم و الاتصال بين شتى الفضاءات الحضارية و الثقافية و بين المخابر العلمية المختلفة كما كانت من قبل وسيطا بين الأديان و التجار و في دواوين الملوك و السلاطين.

و هل لقلم رصين يروم شهرة أو تبليغ رسالة من وراء البحار دون أن يمتطي متن الترجمة؟ بل الترجمات المتعددة؟ أم هل لأي إنتاج أدبي أو علمي أو فني أو سينمائي أو غيره أن يعبر القارات إلا بواسطة الترجمة؟ أم هل لوسائل الإعلام الحديثة من غنية عنها اليوم؟ أم هل من معنى للدبلجة دونها؟

إن الواقع التواصلية موقن بأن العولمة ذاتها لن تفلح باعتماد الأحادية اللغوية و لن تتخطى الحدود أو تخرق الحجب بمنأى عن الترجمة أو أن تقبع حبيسة المناطق اللغوية الواحدة دون أن تنفذ إلى الأقطار الأخرى اللهم إلا أن تنقلب إلى عولمة إقليمية منقوصة أو تكون شبيهة بالعولمة.

و ما للترجمة الآلية التي ما انفكت تراود الفكر الابتكاري منذ عقود، و ها هي تتجسد يوما بعد يوم حتى أخذت مشاريع حوسبة الترجمة منذ مذكرة العالم الأمريكي وارن ويفر الذي كان نائبا لرئيس مؤسسة روكفلر بخصوص مشروعات تطوير الحاسوب في مجال الترجمة في عام 1949م تتطور و تتبلور سيما بعد انعقاد أول مؤتمر

للترجمة الآلية في 1951 و إنشاء مشروع يوروترا: EUROTRA المعروف للترجمة بين لغات المجموعة، إلى أن تعددت الشركات الخاصة المهتمة بالترجمة الآلية مثل سيستران SYSTRAN و وايدنر Weidner و ألبس Alps و لوغوس Logos في الغرب و هايكاتس Hicats و أطلس Atlas و لامب و غيرها في اليابان... (4) ما ذلك إلى دليل عريض على مدى اتساع أفق واعدة لمستقبل الترجمة بخصوصيات و أدوار جديدة لا تغيبها من شروطها التقليدية من الأمانة و الدقة، و إن اقتضت استطرادا، في النص أو الفكرة. بل تنضاف إليها شرائط حديثة تملئها خصائص هذا العصر الموار ليس أقلها الومضية و الدقة المصاحبة للوجازة التي تستلزم الكفاءة العالية إلى جانب البعد العالمي أو طابع العولمة في نقل المعلومة و الخبر و الحدث.

و حسينا من هذا العرض أن ندرك مبلغ أهمية الدور الحيوي الذي يناط بالمترجم في مطلع الألفية الثالثة و هي حبل بالإنجازات الحضارية و المفاجآت العلمية و الانفجارات المعرفية المدهشة و هو كما يلوح لا يخلو من حرص على الإيماء إلى ضخامة مسؤولية تكوين المترجم و مدى تعاضم مهمة إعداده و تأهيله من أجل "أداء رسالته الخالدة للإنسانية جمعاء" (5) فما المقصود بتكوين المترجم؟ و أي ترجمة نعني؟ إذ العلاقة بينهما وطيدة إلى حد أن تحديدنا لمفهوم الترجمة ينعكس بالضرورة على نوعية المترجم المرغوب فيه. فهل الترجمة فن؟ ففي هذه الحال يكون التعويل الكلي منصبا على عصامية قوية و مهارات ذاتية و لا مجال حينئذ لتنمية القدرات بناء على ضروب التدريب و الممارسة؟ و في ذلك يقول د.حسن عطية طمان: لو سلمنا بأن الترجمة فن صرف -كفن الشعر مثلا- انتفت أهمية التدريب فأصبح لا قيمة له إن هو لم يصادف شخصا يمتلك الموهبة فمن غير المعقول أن يتدرب أحد على كتابة الشعر... (6)

على أن رأيا آخر يذهب إلى اعتبار "أن الترجمة كانت في السابق لا تخلو من فن دون شك. حتى إذا أنشئت أدوات الاختصاص في مجال كنوز اللغة في العهود الأولى و معاجم العصور الوسطى و بواكير القواميس ثنائية اللغة أو متعددة اللغات خلال القرنين الخامس

عشر و السادس عشر و جاء حدث الإعلام الآلي في القرن العشرين، رأيت ما يساعد الترجمة على انتهاج الطريقة العلمية. ذلك أن الترجمة عند التأمل هي في أن واحد عمل تقني بقدر ما هي عمل تحريري أي أنها عملية رياضية للترميز و تفسير الرموز تدعمها عملية إعادة الإبداع الفني.

فلا غرو إذا كان من بين المنظرين المحدثين من أنصار الفن (مثل سافوري) من يهاجم الاتجاه العلمي (مثل نيدا) و القائلين بالعملية اللغوية المحضة (مثل فدروف) أو مؤيدي العملية الغامضة التي يطلق عليها بالأسلوبية (مثل فيناي).

فهناك إذن ثنائية بين العلم و الفن كما تتراءى للمنظرين. و لكن ممارس الترجمة يعلم أن التوفيق بينهما ليس بالأمر البعيد. مما جعل شتنيير G-Steiner يتصور الترجمة كأنها "فن دقيق" (7).

وأما إذا اعتبرنا الترجمة علما كما هو مقرر في برامج كبريات مدارس الترجمة في العالم حيث تفرد مادة التدريس بهذا الاصطلاح "علم الترجمة: Traductologie" (8)، و حيث إن الحديث عن الترجمة الميكانيكية قد تحول في أيامنا إلى الحديث عن الترجمة في عصر الذرة أو عن الترجمة الالكترونية و صارت العولمة تلجأ بحكم الاختصاصات الدقيقة و التسارع و الجودة إلى استعمال الحواسيب أكثر فأكثر. فإن الأمر يستلزم إعدادا بيداغوجيا مبرمجا في إطار تنظيمي متخصص تحكمه جملة من الأسس و القواعد تضبط أساليب التعامل مع النص و أشكال الخطاب، و تحدد موقع المترجم من عملية الاتصال التي تتم من طريق الترجمة بشتى أضرارها التحريرية والفورية، الدلالية و الاتصالية (9) باختلاف الحقول المعرفية والعلمية. فضلا عن معايير تحليل النص و سائر الإجراءات التي يمكن أن تقضي إلى ما قد يسمى بـ (نظرية الترجمة) (10) التي جلى بعض جوانبها أمثال Peter Newmark و Cary و Maillot و Seleskovitch الذي تناولت قضية الترجمة من حيث الممارسة والتصورات و غيرهم. ذلك أن الصراع بين الترجمة الحرة والترجمة الحرفية مازال قائما و له أثره في تكوين المترجم والاتجاهات العامة لمدارس المترجمين في أي بلد.

و عليه و تبعا لاعتناء التحديدات التي لوحنا إليها أعلاه يمكن علميا النظر في أدوات التكوين و برامجها و الأهداف المرتسمة و منهجية التعليم و الإعداد اللغوي و التخطيط للتدريبات المؤهلة للتخصص في الصناعة.

قبل ذلك لا مندوحة من التطرق إلى ماهية الترجمة و الإيماء إلى من هو المترجم؟
طبيعة الترجمة

لقد شاعت تعريفات اصطلاحية من أن الترجمة هي النقل من لغة إلى أخرى و إن كان يعد في السابق ضربا من المستحيل أحيانا (11). لذلك ترى الجاحظ يقف بعمق على حقيقة الموازنة في العملية الترجمية حين يؤكد على هذا النحو: "إن الترجمان لا يؤدي أبدا ما قال الحكيم" (12) و إذ يفصل في انعدام الأداء يقول في أسباب حيولة المطابقة: "... على خصائص معانيه و حقائق مذاهبه و دقائق اختصاراته و خفيات حدوده، و لا يقدر أن يوفيهما حقوقها و يؤدي الأمانة فيها..." (13) فهي بهذا الحصر و التضييق أقرب إلى تفسير الكلام بلسان آخر (14). أي أنها إذن على هذا الأساس البياني عملية إيضاح للكلام في قالب لغوي آخر لتبليغ المراد. و إلى هذا يشير ابن النديم في الفهرست بقوله عن كتاب كليله و دمنة: "فسره عبد الله بن المقفع" أي ترجمه. (15)

و باتساع مجالات الترجمة في أيامنا فإن الضرورة تقتضي كما تنجح إلى ذلك أ.ج. رضوان، أن نعيد النظر في تعريف الترجمة سيما أنها لم تعد منصبة على شعر الأقدمين بل هي تصبح تقنية خاصة و إن أقرت بأن الترجمة "المثلى" و التي توفر في الوقت نفسه تكويننا أساسيا أفضل، لا تريح المجال الأدبي لزاما (16). و أحرص ما في شروط الترجمة سلامة النقل بأوجز لفظ ممكن و أبلغه قدر الطاقة على اختلاف إشكالي ليس ها هنا مضربه. و نقتصر على ما يؤكد في هذا التعريف: "الترجمة تعني نقل الأفكار و الأقوال من لغة إلى أخرى مع المحافظة على روح النص المنقول" (17)

إن تاريخ الترجمة ليترامي إلى أبعد الدهور. بيد أن ما جاء في رواية سفر التكوين يعزوه إلى ذرية نوح (س) الذين كانوا يتكلمون لغة واحدة حتى إذا عزموا على إقامة برج صعود السماء استعلاء بابل أنزل الله عليهم عقاباً فشتتهم وضمضع أعمدتهم ولقى على أسنتهم البلبلة (18)، فأضحوا لا يفهمون تلاميهم. وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

[قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم و أتاهم العذاب من حيث لا يشعرون] (19)

و في تفسير البياضوي: "قيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد أمر السماء فأهب الله الريح فخر عليه و على قومه فهلكوا" (20). مذاك الحين و بفعل اختلاف الألسنة نشأت الحاجة إلى الترجمة إلى ثلاثة الأثافي لترميم التواصل بين لغتين و بناء التفاهم بينهما، في حنين إلى العصر الذهبي للغة العالمية الواحدة التي سبقت الحادثة البابلية (21) وهل من بلاغ ممكن لترجمة جيدة و مفهومة بمنأى عن الوحدة الثقافية للمتخاطبين. (22) أو بالأحرى عن السياقات الثقافية الموحدة التي تستلزم بتعبير مالمينوفسكي معاني مرجعية مشتركة للكلمات. (23) و هو أمر غير ميسور دائماً في الراهن و إن بدا من مطامح العولمة الثقافية الملوح بها للألفية الجديدة.

و لأن كانت الترجمة حالة خاصة لالتقاء لغوي فشكلت وساطة لغوية، فإن هذه العملية الرائعة و المعقدة جداً إنما هي "اتصال من الدرجة الثانية يرتبط من لغة إلى أخرى باتصال من الدرجة الأولى تتخذه موضوعاً. أي أن الترجمة تجعل الاتصال في اللغة المصدر موضوعياً بحيث يشمل مضمون الرسالة التي تترجمها في اللغة الهدف... إن ما بعد الاتصال الترجمي يجعل من الاتصال الموضوع بالدرجة الأولى في اللغة المصدر، معطاة اجتماعية لغوية". (24)

إن التأمل في عملية الترجمة يبصر بهذه الحقيقة و هي أننا لا نترجم عن لغة ما و إنما ننقل إذ نترجم، عن كلام مؤلف معين هو نفسه تعبير شخصي خاص عن لغة مشتركة بين مجموعة ما. و عليه

فالمترجم يضطلع بمهمة شبه مستحيلة إذ يتعين عليه في الوقت ذاته أن يحافظ على فردانية الكلام بقدر ما يعكسها و يضع البدائل لبعض عناصر اللغة. و هذا التمرين لا نحسبه هينا سيما أن الكلام يتشكل من اللغة التي تتشكل بدورها من عوامل غير لغوية تتعلق بعلم الاجتماع و علم النفس و علم الأجناس. و لما كانت اللغة لا تنفصل عن السياق الثقافي المتجذرة فيه فإنه ينبغي أن نتجاوز النطاق الضيق لعلم الألسنة بحيث نضع اللغة في "محيط لغوي" (يسميه ميشونيك (H.Meschonic) "اللغة - الثقافة)... إن كل مترجم يعلم و إن كان مبتدئا أنه ليس بالوسع ترجمة أدنى جملة إذا كنا لا نتصور "سياقها" أي "وضعها". و من غريب أن المترجم هذا المدقق في "وزن الكلمات" (لاربود: Larbaud: ج2) يتعين عليه أن يمتلك مخيلة غنية دون أن يقع مع ذلك في أسرها و سيطرتها. و يجب عليه أن يعلم كيف يضع نفسه في موضع المؤلف لكي يفهم النص الذي سيعنى بنقله بقدر ما يضع نفسه في مكان قرنته، لأن ما يبدو واضحا للمترجم وهو يمتلك النص الأصلي ليس بالضرورة كذلك بالنسبة إلى قارئ في اللغة الهدف ليس في حيازته الأصل. و لذا يترتب على المترجم أن يتفادى مسبقا كل لبس أو غموض..."⁽²⁵⁾

تكوين المترجم

ليست هذه الإطالة على طبيعة الترجمة بإشكالياتها المتعددة من قبيل الاستطراد، و إنما أملتتها ضرورة للتمهيد إلى إمكانية طرح بعض معضلات تكوين المترجم طرحا علميا و واقعا بقدر ما هو مكابد يوميا في الميدان.

و حين نثير قضية التكوين يرسم في حسابنا على الأقل أمران هامان على صعيدين:

- 1- فعلى الصعيد النظري يتحتم فحص شروط التكوين من حيث الأدوات و البرامج و الأهداف.
- 2- و على صعيد التطبيق لا يتم التكوين المنشود في إغضاء عن فحواه من منهجية التعليم و الإعداد اللغوي و التخطيط للتدريبات المؤهلة.

1 شروط التكوين:

1-1/ أدوات التكوين:

ليس من غرضنا الزعم بتحديد ما عينا في عجلة. وإنما كل وكندا أن نستلفت الانتباه إلى ضرورة الاستلزام من ميثاق المترجم الصادر عن أعمال المؤتمر الرابع للفيدرالية العالمية للمترجمين المنعقد بدوروفنيك عام 1963 لا سيما الفقرات 4 إلى 7 تحصيلاً للتوفيق بين متطلبات التأهيل المشروطة في هذه الوثيقة الرسمية المعتمدة، وبين أدوات التكوين المأمولة.

فقد نص ميثاق المترجم على ما يلي:

"فقرة 4: يجب أن تكون كل ترجمة أمينة تؤدي بدقة فكرة العمل الأصلي و شكله. علماً بأن هذه الأمانة تملّي على المترجم واجباً أخلاقياً وفي الوقت نفسه التزاماً قانونياً".

فقرة 5: لا يجب الخلط مع ذلك بين ترجمة أمينة و ترجمة حرفية - ذلك أن أمانة للترجمة لا تنفي تكيفاً ضرورياً للإشعار بالشكل و المناخ و المعنى العميق للعمل عبر لغة أخرى و بلد آخر.

فقرة 6: على المترجم أن يمتلك معرفة جيدة باللغة التي يترجم منها بقدر ما يقن تلك التي يترجم إليها.

فقرة 7: عليه أيضاً أن يمتلك ثقافة عامة و معرفة كافية بالمادة موضوع الترجمة و أن يمتنع عن ترجمة ما يخرج عن اختصاصه." (26)

و حسبنا عملياً من هذه الفقرات أن نتصور حوصلة لجملّة الأدوات التكوينية المطابقة التي تقتدر إلى تفصيل عصري محكم و دقيق. و هي تنصب أساساً كما تبدى على ما يلي:

أ- الأمانة في الترجمة بفرعها الأخلاقي و القانوني، إذ التكوين كما اتضح تكوينان: أخلاقي و مهني و لا مناص.

ب- الاهتمام بالشكل و المضمون.

ج- أنماط الترجمة.

د- ضرورة الزاد الثقافي و امتلاك المعارف العامة أو المتخصصة.

ي- الإتقان بواسطة اكتساب الخبرات و الدربة على فنيات الترجمة.

هـ- الاتجاه و التوجيه التخصصي.

و هل من جدال في أنه بافتقاد أحدث أدوات التكوين المؤهلة في عصرنا لإنماء الملكات المذكورة أنفاً و التي قد يستغرق التفصيل الدقيق فيها أعمال مؤتمر متخصص، لن نظفر البتة بالمترجم المحترف إلا أن يكون هاوياً متعثراً في الغالب.

1-2/ أهداف التكوين:

حان للوفاء بتبيان المقصود من المترجم. و ما كنا لنتغاضى عنه بهذا التأخير إلا ليندرج طباقاً ضمن الأهداف المرتسمة للتكوين. و لا غرو أن تتفاوت الأهداف و تختلف بحسب الوضع الاجتماعي للمترجم، و النظرة العلمية و الوظيفية التي نعملها تجاهه في كل عصر و مصر. فلطالما كان دور المترجم في القديم متواضعاً متوارياً و ثانوياً أمام المؤلف حين كانت كلمة الترجمة تفيد مدلولاً "عدائياً" في اللغات الرومانية إذ كانت ترادف بالمغالطة. كما ظل مفهوماً شاحباً في الغرب باستثناء ألمانيا. و لا سيما في اللاتينية. فقد كانت تعني (traducere) الأداء أو القيادة بواسطة (Conduire à travers) و هي مجاورة في الدلالة للعبارة الفرنسية (traduire en justice) أي الإحالة على القضاء. ثم جاءت كلمة "drogman" منحوتة من اللغتين الفرنسية و الإنجليزية تعني "الترجمان الدليل" في الشرق الأوسط. و بهذا الإطلاق المختزل الذي يقتاد القارئ من يده ليعبر به عوارض اللغة ليس إلا...

ثم تألق في القرن التاسع عشر حيث ألحق بالقنصليات العامة و كان يرتدي بزة مطرزة بالذهب مما ينم عن مبلغ أهميته آنذاك. إلا أنه سرعان ما يرتد في عين الرحالة الإنجليزي Sykes إلى مجرد "من يدل على الدببة" و هو بحلق بمجموع السواح.

و يبلغ الانتقاص قديماً بالمترجمين إلى حد الارتياح في شأنهم و السخرية بهم فقد شبه القديس جيروم مترجم الكتاب المقدس بالأنتى. و في آسيا كاد مترجم أن يتعرض للإعدام لكونه أصبح ينطق بلسانين. (27) بما يذكرنا بمقولة: إنسان ذي وجهين. أضف إلى ذلك مقولة

و هل من جدال في أنه بافتقار أدوات التكوين المؤهلة في عصرنا لإنماء الملكات المذكورة آنفا و التي قد يستغرق التفصيل الدقيق فيها أعمال مؤتمر متخصص، لن نظفر البتة بالمترجم المحترف إلا أن يكون هاويا متعثرا في الغالب.

1-2/ أهداف التكوين:

حان للوفاء بتبيان المقصود من المترجم. و ما كنا لنتغاضى عنه بهذا التأخير إلا ليندرج طباقا ضمن الأهداف المرسمة للتكوين. و لا غرو أن تختلف الأهداف و تختلف بحسب الوضع الاجتماعي للمترجم، و النظرة العلمية و الوظيفية التي نعملها تجاهه في كل عصر و مصر. فلطالما كان دور المترجم في القديم متواضعا متواريا و ثانويا أمام المؤلف حين كانت كلمة الترجمة تفيد مدلولا "عدائيا" في اللغات الرومانية إذ كانت ترادف بالمغالطة. كما ظل مفهوما شاحبا في الغرب باستثناء ألمانيا. و لا سيما في اللاتينية. فقد كانت تعني (traducere) الأداء أو القيادة بواسطة (Conduire à travers) و هي مجاورة في الدلالة للعبارة الفرنسية (traduire en justice) أي الإحالة على القضاء. ثم جاءت كلمة "drogman" منحوتة من اللغتين الفرنسية و الإنجليزية تعني "الترجمان الدليل" في الشرق الأوسط. و بهذا الإطلاق المختزل الذي يقتاد القارئ من يده ليعبر به عوارض اللغة ليس إلا...

ثم تألق في القرن التاسع عشر حيث ألحق بالقنصليات العامة و كان يرتدي بزة مطرزة بالذهب مما ينم عن مبلغ أهميته آنذاك. إلا أنه سرعان ما يرتد في عين الرحالة الإنجليزي Sykes إلى مجرد "من يدل على الدببة" و هو بحلق بجموع السواح.

و يبلغ الانتفاص قديما بالمترجمين إلى حد الارتياح في شأنهم و السخرية بهم فقد شبه القديس جيروم مترجم الكتاب المقدس بالأنثى. و في أسيا كاد مترجم أن يتعرض للإعدام لكونه أصبح ينطق بلسانين. (27) بما يذكرنا بمقولة: إنسان ذي وجهين. أضف إلى ذلك مقولة

أخرى بالإيطالية: "traduttore traditore" التي تعطي بالعربية: "من ترجم فقد خان" لتكتمل مهانة المترجم. و المسكين ليس أحسن حالا في القرن العشرين. و على هذا النحو يصفه Larbaud لاربو: "المترجم كائن مجهول: يجلس في المقعد الخلفي. يقات من الصدقات. الخدمة شعاره. يتوارى بذكاء و تكتم. شريف متورع. يعرف كيف يقاوم بشجاعة عفاريت الاصطلاحات و شياطين المعاني المتعاكسة. و باختصار، فهو يجتهد في الظهور و كأنه قديس مثل سيده القديس جيروم". (28)

و فرق في تحديد الأهداف بين نظرة بوشكين pouchkine إلى المترجمين كأنهم جياذ الإبدال (29) و نظرة السيدة دي سطايل M^{me} De Stael إلى الترجمة كأنها تكرار للموسيقى بآلات مختلفة. (30) و أما عن قيمة الترجمة و مكانة المترجمين في المشرق فشان آخر. اسأل به خبيرا ينبئك عن عصرها الذهبي في الدولة العباسية (31) و عن تكريم الخليفة المأمون للمترجمين بما لا نظير له في غير حضارة الكتاب و القلم. و عن بيت الحكمة و عطياتها و ازدهارها. و صفوة القول ماذا نتوخى في عالم الثورة الرابعة و نحن على مشارف الألفية الثالثة، من تكوين المترجمين و الترجمة؟ و ما هي الأهداف من الترجمة أصلا في تصورنا و مناهج تكويننا؟ و لعل مقتظا من كتاب أندريكوف Andronikof يساعد في تلمس مواصفات المترجمان و سمات شخصيته التكوينية، نترجمه للتأمل و المناقشة، فهو يصفه هكذا:

"إنه جنس خاص من الألسني الرياضي الذي ينتقل من صيد الحيتان إلى شرطة مكافحة الإجرام. و من تسوية قطع الغيار إلى مفاوضات وقف القتال. يجب أن يشعر بنفس الراحة و هو بصدد الاصطلاحات الفنية أو إزاء انعدام الدقة الدبلوماسية و أن يجمع بين نفس عضو البرلمان و صرامة المدرس. يجب عليه أن يؤدي المعنى و الأسلوب و شكل الخطاب و طوله (أو حجمه). ينبغي أن يكون متحذلقا أو ملمحا، فظا أو مغمرا، مضمرا أو مطنبا. يجب أن يكون مسمعا جيدا أي أنه ينصت و يفهم و لو لم يدرك. طبعا قد يغتفر للمندوب غموضه أو أن يكون غير مفهوم. لكن لن يسمح للترجمان

قلة الموضوع (...). هذا هو الألسني البهلوان الذي يلعب على خيط رهيف دون شبكة الوقاية".⁽³²⁾
و لا مراء في أن الوعي بهذه الخصائص النوعية التي تكاد تكون استثنائية، مفض بالضرورة إلى تصور عميق لأهداف الصنعة و وسائل بلوغها و م مهد كبير لمناهج اكتسابها.

2- فحوى التكوين:

2-1/ منهجية التعليم:

لم يحدثنا مورخو الترجمة في القديم عن تدريس نظري مخصص في النقل و الترجمة على نمط مقررات مناهج العصر. و إنما كل التركيز في التكوين كان منصبا على الممارسة و التطبيق. و لعل بهذا الاتجاه العملي الموروث أثرا في أن عمداء المترجمين و الترجمة الدوليين لا ينفكون في الراهن عصاميين أحيانا.⁽³³⁾ و السؤال الذي ينهض بهذا الصدد هو هل كان التعليم منذ أن أنشئت أول مدرسة أوروبية للترجمة في عام 1930 بمانهايم، يسير وفق منهج تلقيني يقتصر على إملاء فنيات الترجمة و قواعدها العامة و يعود على الاعتماد على أدواتها المعجمية المختلفة ليكون الأساس في التحصيل المنهجي الاستعارة أو الافتراض؟ أم إنه كان يمكن الطالب الرضى من عنصر الإبداع و الابتكار في حقل المصطلحات خصوصا، بحيث يتجه إلى تقنيق ملكاته على توليد الكلمات المستحدثة néologismes و إقذاره على سد الفراغات و الفجوات في هذه اللغة أو تلك؟

و إذا نقصينا منهجية التكوين في إحدى كبريات مدارس الترجمة العصرية في العالم ألفينا الهدف من تعليمها في الدور الأول من تحضير الليسانس بمدرسة جينيف مثلا هو تحديد: "... بيان أن الترجمة تعني فهم النص في لغة المصدر من أجل إعادة صياغته في اللغة الهدف، و بذلك تعتمد المنهجية على محورين هما: الفهم و الصياغة".⁽³⁴⁾

و لقد شرح ن. شوماخر N. Schumacher أحد أساتذة الترجمة جل الأطوار المنهجية التي تتخلل عملية الترجمة فقسّمها إلى ثلاثة أقسام:

-القسم الأول: يتمثل في طور الاستيعاب أو التمثل Assimilation لتحديد النموذج الوظيفي الذي ينتمي إليه النص الأصلي (قصص، تقارير، مقالات...) ثم يحفه بعد ذلك بمعارفه الفكرية و الثقافية و العاطفية كي يضعه في سياق معين.

-القسم الثاني: هو طور المواجهة الحية بين مصادر اللغة المصدر و مصادر اللغة الهدف، لتجري، منظورا إليها في مستوى وحدات الترجمة، على ثلاثة أصعدة (معجمية، نحوية تعبيرية).

-القسم الثالث: هو طور الاسترجاع و المقصود به ابتداء تجميع شتى العناصر التي توفرت بخوض أكبر الوحدات الترجمة الممكنة قبل اللجوء نهاية المطاف إلى قراءة نقدية.⁽³⁵⁾

و باستعراض طرائق تعليم الترجمة عموما يتضح أنها كانت عبر العصور في الجملة كما يقول الصفدي (ت: 764هـ) و إن تغير المسمى: "و للترجمة في النقل طريقان: أحدهما طريق يوحنا ابن البطريق و ابن الناعمة الحمصي و غيرهما، و هو أن ينظر إلى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية و ما تدل عليه من المعنى، فيأتي بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى، فيثبتها و ينتقل إلى الأخرى، كذلك حتى يأتي على جملة ما يريد تعريبه."⁽³⁶⁾

و هل هذه الطريقة إلا المقابلة أو باصطلاح اليوم الترجمة الحرفية. و يصفها بـ"الردينة" لوجهين: أحدهما أنه لا يوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع الكلمات اليونانية، و لهذا وقع في خلال هذا التعريب كثير من الألفاظ اليونانية على حالها. الثاني: أن خواص التركيب و النسب الإسنادية لا تطابق نظيرها من لغة أخرى دأما. و أيضا يقع الخلل من جهة استعمال المجازات، و هي كثيرة في جميع اللغات"⁽³⁷⁾

و عن الطريق الثاني في التعريب يقول هو: "طريق حنين بن إسحاق و الجوهري و غيرهما، و هو أن يأتي إلى الجملة فيحصل

معناها في ذهنه، و يعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها، سواء ساوت الألفاظ أم خالفتها. (38)

و هل هذه الطريقة إلا المطابقة أو باصطلاحنا الحديث الترجمة التفسيرية، و يصفها بالأجود إذ يقول: و لهذا لم تحتج كتب حنين بن إسحاق إلى تهذيب... (39)

أضف إلى هذه الإشارات المنهجية التعليمية العامة الخط الإيديولوجي لسياستنا التربوية أو قل لاتجاه التكوين الترجمي عندنا. هل ستجري في هذا السياق "تعبئة الترجمة بهدف إعادة تأكيد الهوية الثقافية" الوطنية و إعادة امتلاكها و إعادة فحصها بوصفها وسيلة لتمييز الذات عن الآخر...؟ (40)

2-2/ الإعداد اللغوي:

يقول الجاحظ في شرائط الترجمان: "و لا بد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة، و ينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة و المنقول إليها حتى يكون فيهما سواء و غاية... (41)

هذه العلمية اللغوية على استواء في الوعاءين الناقل و المنقول إليه هي ما يعبر عنه بالقدرة اللغوية المشترطة في مؤهلات المترجم على تفوق في الاستخدام و تميز في نقل الآثار، و ما تتضمنه عملية النقل تلك من إيضاح للغوامض و فك للرموز و تحديد للمعاني و ظلالها. (42)

و هي لا تخلو في مبادئها و فنياتهما من عناصر أربعة هي:

- دلالة المفردات: L'aspect sémantique

- الصرف المقارن: L'aspect morphologique

- التركيب أو علم التراكيب: L'aspect syntactique

- الأسلوب: L'aspect stylistique

و يجب على المترجم إذ يمتلك اللغة الأجنبية أن تكون معرفته بها نقدية، على حين تكون معرفة بلغة الأم أو لغة الاستعمال الطبيعي عنده كما يقول Savory، معرفة عملية (43).

و يحتاج كذلك إلى معرفة بنقد النصوص الأدبية و غير الأدبية حيث يتحتم عليه أن يقدر قيمة النص النوعية قبل أن يتخذ القرار الخاص بأسلوب تفسير ذلك النص، و من ثم ترجمته. و هذا يستدعي إماما بما كتب في علم الأساليب الذي يقع بين علم اللغة و النقد الأدبي كما في كتابات ياكوبسون (1960 jakobson، 1966) و شبيترز (1948 Spitzer).⁽⁴⁴⁾

و إذا تعين على المترجم أن يكون ثنائي اللغة *bilingue* على الأدنى، و إذا كانت اللغة لا تنفصل عن الثقافة فإن الاقتضاء أن يكون المترجم سيما من يعنى بالنصوص الأدبية، أيضا ثنائي الثقافة *biculture* لأن الأدب تجسيد للثقافة و نقل لها⁽⁴⁵⁾.

و حتى لا نكون بمعزل عن التطور المتنامي فمن البديهي أن نشير إلى مدى أهمية هذه المقتضيات عينها بالنسبة إلى الترجمة الإعلامية التي تستلزم أيضا معرفة تامة باللغتين المترجم منها و إليها وسعة اطلاع و ثراء ثقافة، و إلا حدث تشويش في وصول الرسالة الإعلامية و عجز عن إيصال فحواها⁽⁴⁶⁾.

و تفاديا للخلط بين اللغوي أو الألسني و المترجم ينبغي أن نعلم أن الإعداد اللغوي ضروري إلى أبعد الحدود لكنه مع ذلك لا يعوض الترجمة بل لا يستغني عنها. و لقد نبه أحد خبراء الترجمة و هو لأدميرال إلى مغبة الوقوع في التنظير اللغوي المفرط الذي اعتبره ضربا من "الإرهاب" اللغوي ودعا إلى استخدام معارف علم اللغة بفرعها الدلالي و السيميائي بهدف الإفضاء إلى منافذ تنير الطريق للمترجم بدلا من أن تحضره في برج عاجي لبعض اللغويين التنظيريين. و عليه ينبغي التحلي بروح المتبعة النظرية التي لا تنفك عن إصغاء دائم للممارسة⁽⁴⁷⁾.

و كما تؤكد موسوعة الترجمة فقد لاحظ أساتذة هذه الصنعة غالبا، أن إتقان لغات كثيرة لا يستلزم بالضرورة إتقان فنيات الترجمة. فبعض الطلبة الذين قد يعبرون في كل لغة بشكل مقبول هم أعجز من أن يوفقوا في النقل من لغة إلى أخرى.⁽⁴⁸⁾

و في الخلاصة و دون خوض في إشكالية الإعداد اللغوي للمترجم: هل ينبغي أن يتم من طريق الترجمة أم من طريق دراسة اللغة و بينتها الثقافية كي يتمكن من ناصيتها و من اختيار المقال المناسب للمقام، فلا محيص له من تربية الذوق الترجمي، و لا سبيل إليه دون التدريب⁽⁴⁹⁾، و استفراغ القوة في حذق الصنعة.

2-3/ التخطيط للتدريبات المؤهلة:

تذهب كثير من الآراء إلى اعتبار الترجمة عامة و الترجمة الأدبية خاصة كالعبقرية التي هي مزيج من إلهام و كد. بيد أن نسبة الإلهام فيها لا تتجاوز الاثنين بالمائة (2%) على حين أن تكون نسبة الكد و العرق ثمانية وتسعين بالمائة (98%).⁽⁵⁰⁾ مما يؤكد مبلغ أهمية تدريب محكم مدروس. فالدربة المخطط لها و المران المبرمج له قيمتان، إلى نكاء و جلد و مثابرة، فضلا عن توفر الأدوات التكوينية التي ألمعنا إليها آنفا، ببلوغ الإجادة و تحصيل الإتقان و تنمية الملكات المتخصصة.

و من أولي الخبرة الطويلة في الصنعة النقلية من مرحل تعليميا للتدريب هذه المراحل الأربع: المحاولة الترجمة- مناقشة أخطاء المتدرب- تعزيز المحاولة- التعلم للتمكن. و تختزل في هذه الحروف الرامزة (TEFL) للكلمات التالية: (Trial /Error/ Feedback/ Learning)

و بهذا الوصف تكون الترجمة شبيهة عمليا و في حقل الممارسة بالمهارات المكتسبة من طريق التمرين و التدرج و المحاولات المحفزة⁽⁵¹⁾

و في هذا الميدان التطبيقي لا تعزبن عنا إشارة نبهية لخبير في تعليم الترجمة و تكوين المترجمين إلى مفارقة يطرحها في مجال حديثة عن المباشرة بين الألسني و المترجم. لكن الذي يستلفتنا فيها هو دقة الممايزة المنهجية في التكوين بين التدريب البيداغوجي على مدارج الجامعة و بين الممارسة في الحقل المهني، حيث يقول:

"عندما نعد إلى تدريس الترجمة نلجأ إلى التعريب و التعجيم، و هما ينطويان على تمارين جزئية و ربما كانت سطحية في التقرير

بمعايير خاصة إذ لا يتأتى اعتبارها كذلك ترجمات حقيقية. و لا أدل على ذلك بالفعل من أن صفحة الترجمة التعليمية حينما تكون اقتباسا منزوعا في كلية أو في جزئية من السياق تنتصب قناعا يخفي جانبا من حقل البحث. و تصبح النصوص ذات استدلال رجعي ضعيف جدا لا يسمح بتكوين مصطلحات. و من صوب آخر، و بينما ينزع المترجم المحترف في ميدان الممارسة إلى أن يفضل الترجمة إلى لغته الأم، فإن التعاقب السريع لضروب التعريب و التعجيم يحمله على تنمية كفاءة مزدوجة بفعل أن مشاكل فك الرموز و تركيبها تطرح بطرق مختلفة.

فالتعريب باعتباره إعادة بناء تحليلي انطلاقا من وحدات دنيا للترجمة يلجأ إلى نحو إنتاجي. على حين أن التعجيم و هو بمثابة إعادة بناء تركيبية للجملة و حتى للفقرة، يلجأ إلى نحو استقبالي. و عليه فالترجمة التعليمية ليست سوى اختبار للمهارة يوظف في اختبار الكفاءة. إن هذه الغاينة الخارجية مختلفة جدا عن الغاينة الداخلية للترجمة: و هي أن تسمح للقارئ بالامتناع عن قراءة النص – المصدر. (52)

ختاما، كل المبتغى أن تكون الترجمة فنا يهذب العلم إمتاعا و إبداعا أو علما يقوم على توظيف الفن دونما عن أساسياته و جذوره الضاربة في التاريخ. و ذلك شأن آخر في بلوغها أسمى مراقبها. و حبذا لو أنها تنتقل فعلا إلى وسيلة للتفاعل الثقافي بين الأمم و أداة لحوار الحضارات دون أن تكرر التنبية الثقافية. و لعلها بهذه المطامح الإيجابية أن تكون عملا غيريا و تاريخيا متجددا على الدوام.

- 1- بيتر نيومارك: اتجاهات في الترجمة. جوانب من نظرية الترجمة. ترجمة د. محمود إسماعيل صيني. دار المريخ للنشر. الرياض. 1406هـ/1986م. ج1. ص13.
- 2- نفسه. حسب إطلاق جمبلت (jumpelt) 1961 و بنجامين (Benjamin). 1923.
- 3- المرجع السابق. ص 14.
- 4- انظر: د. محمود إسماعيل صيني: مقال "الترجمة الآلية" مجلة الفیصل. العدد 239. جمادى الأول 1417هـ/سبتمبر-أكتوبر 1996م. الصادرة بالرياض. ص 30-31.
- 5- الصديق سعدي: دروس في الترجمة. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر، 1999. م. ص. 4.
- 6- انظر مقاله: "المترجم: مؤهلاته و إعدادة". الفیصل. العدد 239. ص 23.
- 7- Joëlle Redouane : Encyclopédie de la licence en traduction. 2é éd. O.P.U. Alger. 1996. P.40.
- 8- انظر: Plans d'études de la licence en traduction de l'Ecole de traduction et d'interprétation publications de l'université de Genève 2000-2001. وفي إطلاق آخر: Thanatologie كما لهاريس (Harris 1977).
- 9- الترجمة الاتصالية: هي أن يحاول المترجم أن يعطي لقراء اللغة الهدف نفس التأثير الذي يعطيه الأصل لقراء اللغة المصدر. و الترجمة الدلالية: هي أن يحاول المترجم في حدود القيود النحوية و الدلالية للغة الهدف أن يعيد تقديم المعنى السياقي الدقيق للمؤلف. انظر: اتجاهات في الترجمة. مرجع سبق ذكره. ص 50.
- 10- نظرية الترجمة: توضح لنا طرائق الترجمة المناسبة لأكثر عدد من أنواع نصوص الترجمة أو فئاتها و تقدم لنا كذلك إطار عمل من المبادئ و القواعد المحدودة المتعلقة بالترجمة. انظر: المرجع السابق. ص 43.
- 11- انظر: Les problèmes théoriques de la traduction. Gallimard, Mounin, G : Paris. 1963.

- 12- الجاحظ: كتاب الحيوان. تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون. دار الجيل. بيروت. 1413هـ/1992م. ج.1. ص75.
- 13- نفسه. ص75-76.
- 14- انظر: الجوهري: الصحاح. ط4. دار العلم للملايين. القاهرة. د.تأ. 1928/5.
- 15- انظر: د.محمد البشير مغلي: "إشكاليات ترجمة النص المقدس" ورقة علمية مقدمة للملتقى الدولي السابع حول الترجمة و الاختلاف. 6-8 ماي 2001 وهران.
- 16- انظر: Joëlle Redouane : Stylistique comparée du Français et de l'Anglais O.P.U. Alger. 1996. p.2.
- 17- عبد العليم السيد المنسي و عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: الترجمة: أصولها و مبادئها و تطبيقاتها. دار المريح. الرياض. 1408هـ/1988م. ص11.
- أنظر أيضا : د.جمال عبد الناصر و د.عبد الوهاب علوب: فن الترجمة: مختارات. دار الثقافة العربية. القاهرة. 1989م.
- 18- البليلة: اختلاط الألسنة و تفريق الآراء. و تبلبلت الألسنة. اختلطت. و بلبلهم بلبالا: هيجهم. انظر: الزاوي: مختار. القاموس: الدار العربية للكتاب. الجماهيرية الليبية. 1392-1393 هـ/1983-1984م. ص61. و ليس غريبا أن تشتق البليلة من حادثة بابل في اللغة العربية بل تحتفظ كلمة "babel" بالفرنسية و الإنجليزية بمعنى الهرج الذي لا يفهم معه كلام.
- انظر: Joëlle Redouane :Encyclopédie de la traduction, op.cit, p.3.
- 19- النحل: 26.
- 20- أنوار التنزيل و أسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي (ناصر الدين الشيرازي) مؤسسة شعبان للنشر و التوزيع. بيروت. د.تأ. 179/3.
- 21- Joëlle Redouane :Encyclopédie de la traduction, op.cit, p.3. المقصود هنا بثالثة الأثافي اللغة الثالثة الوسيطة بين لغتين مختلفتين: أي لغة النقل لهذه أو تلك لا

على أنها لغة ثالثة مستقلة و إلا استحال التبليغ إن لم يكن بإحداهما إلى الأخرى.

-22 R.H. Robins : Linguistique générale : انظر: introduction. Tard. De Simone Delesalle et Paule Guivare'h. 2^é éd. A. Colin. Paris. 1973.p.40-41.

-23 Ibid.

-24 Ladmiral, J.R : Traduire : Théorèmes pour la traduction. Petite. Bibliothèque Payot, Paris.1979.p144.

-25 Joëlle Redouane :Encyclopédie de la traduction, op.cit, p.38

-26 Cf. : Actes du IV^é congrès de la Fédération internationale des traducteurs. Dubrovnik.1963. Oxford, Pergamon Press.1967.

-27 انظر المرجع الأسبق بتصرف. ص 70-71.

-28 نقلا عن المرجع نفسه. ص 72.

-29 Chevaux changés aux relais

-30 نفسه.

-31 انظر مثلا: د.مريم سلامة كار: الترجمة في العصر العباسي. مدرسة حنين بن إسحاق وأهميتها في الترجمة.

La traduction à l'époque abbasside. Ed. Didier. Paris.1990 (série Traductologie n°6).

-32 Andronikof, C : Servitudes et grandeurs : انظر: de l'interprète ; in Babel, vol8, n°1.1962. (Revue internationale de la traduction, Bonn).

-33 Joëlle Redouane :Encyclopédie de la traduction, op.cit, p.79.

-34 école suisse, op-cit, p.8-9, études de l'Voir Plans d

- 35- N. Schumacher : Analyse du processus انظر: de la traduction : conséquences méthodologiques. In Meta.Sept.1973.pp.308-314.
- 36- انظر: الغيث المسجم:79/1 ذكره محمد اليعلاوي في مختاراته (100 نص عربي).ط4 دار الغرب الإسلامي. بيروت.1997.ص 107-108. نص رقم 71: (طرق الترجمة).
- 37- نفسه.
- 38- نفسه.
- 39- نفسه.
- 40- ريشار جاكسون: مقال "الترجمة و الهيمنة الثقافية: حالة الترجمة الفرنسية/العربية" مجلة النقد الأدبي "فصول" المجلد الحادي عشر. العدد الثاني. القاهرة. صيف 1992. ص49. بتصرف قليل.
- 41- انظر: كتاب الحيوان. تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون. دار الجيل. بيروت.1413هـ/1992م.76/1.
- 42- جمال محمد جابر: مقال "من هو مترجم النص الأدبي و ما هي خصائصه؟". مجلة كلية الدعوة الإسلامية. العدد الخامس عشر. طرابلس. ليبيا. 1428م ر/1998 افرنجي. ص 329.
- 43- انظر: Savory, T.S: The Art of Translation. Cape. Londres. 1957.p.35.
- 44- انظر: اتجاهات في الترجمة. مرجع سبق ذكره. ص 17-18.
- 45- "من هو مترجم النص الأدبي..." مقال سبق ذكره. ص 330.
- 46- محمد وليد سابق: مقال "الترجمة الإعلامية" مجلة الفيصل. العدد 239. سبق ذكره. ص 47.
- 47- انظر: Ladmiral : Théorème pour la traduction, op-cit, pp.211-213.
- 48- Joëlle Redouane :Encyclopédie de la traduction, op.cit, p.43.
- 49- د. حسن عطية طمان: مقال "المترجم مؤهلاته و إعدادة" مجلة الفيصل. العدد المذكور. ص 25.
- 50- انظر: مقال جمال محمد جابر، المذكور. ص 328.

- 51- المرجع الأسبق.ص 23.
52- انظر: Ladmiral, p.41